من بهم بالرفق على قدر عقولهم وَاختلف الناس في العقل المكتسب اذا تناهى وزاد بالانسان هل يكون فضيلة ام لا فقال قوم لا يكون فضيلة لان الفضيلة مرتبة متوسطة بين فضيلتين ناقصتين كما ان الخير متوسط بين رذيلتين فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيلة وَقد قالت الحكماء للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز هذا مع ما وردت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير الامور اوساطها وَقال علي رضي الله عنه خير الامور النمط الاوسط اليه يرجع العالي وبه يلحق التالي قال الشاعر

لا تذهبن في الامور فرطا ۞ لا تسئلن ان سالت شططا ۞ وكن من الناس جميعا وسطا

قالوا ولكن زيادة العقل تفضي بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك مذموم وَقد امر عمر بن الخطاب ابا موسى الاشعري رضي الله عنهما ان يعزل زيادا رضي الله عنه عن ولايته فقال زياد اعن موجدة ام خيانة يا امير المومنين فقال لا عن واحدة منهما ولكن خفت ان احمل على الناس فضل عقلك وَمن اجل هذا المحكي عن عمر رضي الله عنه ما قال قيل قديما افراط العقل مضر بالجسد وَقد قال بعض الحكماء كفاك من عقلك ما دلك على سبيل رشدك وَقال بعض البلغاء قليل يكفي خير من كثير يطغي قال اخرون وهو اصح القولين زيادة العقل فضيلة لان المكتسب غير محدود وانما تكون زيادة الفضائل المحدودة نقصا مذموما لان ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة كالشجاع اذا زاد على حد الشجاعة نسب الى التهور والسخي اذا زاد على السخاء نسب الى التبذير وليس كذلك حال العقل المكتسب لان الزيادة فيه زيادة علم بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن الى ما يكون فذاك فضيلة لا نقص وَقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس اعقل الناس وَروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال العقل حيث كان الف مالوف وَقد قيل في تاويل قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته اي بحسب عقله وَقال القاسم بن محمد من بركات العرب تقول من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الشر عليه وَقيل في منثور الحكم كل شي اذا كثر رخص الا العقل فانه اذا كثر غلا وَقال بعض البلغاء ان العاقل من عقله في ارشاد ومن رايه في امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغراء ومن هواه

في اغراءٍ

في اغراءٍ فقوله سقيم وفعله ذميم وَانشدني بعض اهل الادب لابيه

من لم يكن اكثر ما فيه ۞ عقله اهلكه اكثر ما فيه

واما الدهاء والمكر فانه مذموم لان صاحبه صرف فضل عقله الى الشر ولو صرفه الى الخير لكان محمودا وَقد ذكر المغيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال كان والله افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع وَقال عمر رضي الله عنه لست بالخب ولا يخدعني الخب وَاختلف الناس فيمن صرف فضل عقله الى الشر كزياد واشباهه من الدهاة هل يسمى الداهية منهم عاقلا ام لا فقال بعضهم اسميه عاقلا لوجود العقل منه وقال الاخرون لا اسميه عاقلا حتى يكون خيرا دينا لان الخير والدين من موجبات العقل واما الشرير فلا نسميه عاقلا وانما نسميه صاحب روية وفكرة وَقد قيل العاقل من عقل عن الله عز وجل امره ونهيه حتى قال اصحابنا فيمن وصى بثلث ماله لاعقل الناس انه يصرف في الزهاد لانهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل روى لقمان بن عامر عن ابي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا قلت بابي وامي انت ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله وادّ فرايض الله تكن عاقلا ثم تنفل صالحات الاعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وعليه عزا وَانشدني بعض الادبا وذكر انها لعلي رضي الله عنه

ان المكارم اخلاق مطهرة ۞ فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ۞ والخوف خامسها والجود سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها ۞ والشكر تاسعها والدين عاشيها
والنفس تعلم اني لا اصدقها ۞ ولست ارشد الا حين اعصيها
والعين تعلم من عيني محدثها ۞ ان كان من حزبها او من اعاديها

وَاعلم ان العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي لانه نتيجة منه وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضايل موفور الرذايل كالانوك الذي لا تجد له فضيلة والاحمق الذي قل ما يخلو من رذيلة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاحمق ابغض خلق الله اليه اذ حرمه اعز الاشيا عليه وَروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الاحمق كالفخار لا يرقع ولا يشعب

Copyright © King Saud University